الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم اللغة والأدب العربي
التخصص: دراسات أدبية

دراسة المتخيّل التّاريخي في رواية "ساحر أو مجنون" لأيمن العتوم

مذكرة مقدمة لإستكمال متطلبات الحصول على شهادة الليسانس

إعداد الطالبة:

❖ **فاطمة محجوب**

إشراف الأستاذة:

***صليحة شتيح**

السنة الجامعية:2024/2023

الإهداء

بدايتها الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه، الحمد لله حمدا كثيرا طيّبا مباركا فيه، فلولا الله لما نجحنا ولا وُفّقنا ولا بلغنا

{وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ}

ثمّ

- إلى الأمان، إلى التي جعل الله تحت أقدامها الجنان، أمّي التي مهما شكرتها ومهما أثنيت عليها ومدحتها، فلن أُوافيها ولو بضعا ممّا ضحّت وقدّمت.
- إلى سند الطّموح أبي، داعمي بلا حدود، وباذل كلّ الجهود، وملاذي بعد الله الودود.
- إلى إخوتي، سندي في كلّ الحاجات، وفخري إلى الممات.
- إلى أُختيّ اللّتين بهما أشدّ عضُدي، ومعهما أبقى شامخة ولو كان كلّ العالم ضدّي.
- إلى صديقاتي ورفيقات دربي، يا نعما وهبها لي ربّي.
- إلى كلّ من عرفته من قريب أو من بعيد، إلى كلّ من ساندني ودعّمني ولو بكلمة طيّبة للرّوح تُعيد.
- إلى مشرفتي الأستاذة "صليحة شتيح"، التي دعّمتني ووجّهتني في مذكّرتي.

أُقدّم لكم ثمرة جهدي وتعبي.

مقدمة

مقدّمة:

تعتبر الرّواية فنّا من الفنون الأدبية، التّي يستطيع من خلالها الرّوائي أن يصوّر لنا الواقع الذّي نعيشه ومختلف قضاياه، كما نجد أنّ أغلب الكتّاب يحاولون من خلال أعمالهم الرّوائية معالجة هذه القضايا، ومنهم من ينزوي نحو الرّواية التّاريخية التّي تعتبر ضربا من ضروب التّجربة الرّوائيّة، والتّي ظاهرها استحضار التّاريخ وباطنها ربط الحاضر بالماضي ومعالجته انطلاقا من العودة إلى التّاريخ، فتكون بذلك غاية الكاتب ليس التّاريخ بحدّ ذاته، وإنّما التّعبير من خلاله عن الواقع ومحاولة معالجته، ممّا يجعل القارئ أو الدّارس يكشف الفرق بين الماضي والحاضر.

وهذا ما نجده في رواية "ساحر أو مجنون"، حيث عمد أيمن العتوم إلى استحضار حقبة العصر العبّاسي وشخصية المتنبّي ببراعة ودقّة في الوصف، ممّا يؤكّد إحاطته واطّلاعه على مميزات العصر وخصوصيّاته، ولكي يقرّب لنا الصّورة أكثر حول شخصية المتنبّي وحكايته أضفى إلى مختلف الأحداث التّاريخية أحداثا متخيّلة.

وقد اخترنا هذا البحث في موضوع المتخيّل التّاريخي ضمن رواية "ساحر أو مجنون" لأيمن العتوم بناءً على مجموعة من الأسباب نذكر منها:

- ميولنا إلى كتابات أيمن العتوم لرقيّ أسلوبه ودقّة لغته.
- اهتمامنا بالتّاريخ وبالرّوايات التّاريخية بغية معرفة تاريخنا القديم، وبحكم أنّ الرّواية تقرّب الفهم للقارئ أكثر من الكتب التّاريخية.
- الرّغبة في كشف أغوار الرّواية، والتّفريق بين المتخيّل والتّاريخي من خلال ربطه بأحداث الرّواية.

وقد قامت دراستنا على إشكاليّة رئيسية للإجابة عن موضوع الدّراسة وهي: ما هي تجليّات المتخيّل التّاريخي في الرّواية؟ وتتفرع عن هذه الاشكاليّة جملة من الأسئلة منها:

- كيف وظّف الرّوائي المتخيّل التّاريخي من خلال عنصريّ الشخصيّة والحدث؟

- ما هي دلالات الأمكنة التّي وظّفها الكاتب في روايته؟

وقد اعتمدنا على المنهج التّاريخي باعتبار أنّنا درسنا رواية تاريخيّة، واستعنّا بالمنهج الوصفي التّحليلي الذي يقوم على وصف الظّاهرة وتحليل عناصرها، باعتبار أنّ الكاتب قدّم لنا معلومات دقيقة ووصفا دقيقا لمختلف العناصر السّردية المذكورة في الرّواية، وإنجازنا هذا البحث ما هو إلاّ رغبة منّا في الوصول إلى أجوبة الأسئلة المطروحة من خلال الإشكالية التي قدّمناها.

وقد قسّمنا بحثنا إلى مقدّمة وفصلين، الفصل الأول ينقسم إلى مبحثين، والفصل الثّاني كذلك يضمّ مبحثين، كلّ مبحث ينقسم إلى مطلبين. جاء الفصل الأوّل تحت عنوان "**الشّخصيّات بين المتخيّل والتّاريخي**" وفيه تطرّقنا إلى التفريق بين المتخيّل والتاريخي من خلال الشخصيّات التّاريخيّة والمتخيّلة، والعلاقة التي يقيمها الرّوائي بينهما.

وأمّا الفصل الثاني فقد جاء تحت عنوان " بناء المكان والحدث "، تطرّقنا في مبحثه الأوّل المعنون بـ "المكان بين التّاريخ والرّواية" إلى مختلف الأماكن المذكورة التي تنتقل إليها الشخصيّة المحوريّة ما بين أماكن مغلقة (اختيارية ـ إجباريّة)، وأماكن مفتوحة، وأخرى أمكنة إنتقال، والدّلالات التي تعكسها هذه الأماكن. وفي المبحث الثّاني المعنون بـ "بناء الأحداث في الرّاوية" تطرّقنا إلى مختلف الأحداث المتعلّقة بشخصيّة المتنبّي، واستطعنا كذلك أن نفرّق من خلال عنصر الأحداث بين المتخيّل والتّاريخي، فتطرّقنا إلى أحداث تاريخيّة وأخرى متخيّلة. ثم أنهينا البحث بخاتمة تضمّ مجموع النتائج التي تمّ التّوصل إليها من خلال هذا البحث.

وكلّ هذه الدّراسة لم تكن إلاّ باعتمادنا على جملة من المصادر والمراجع نذكر منها:

- رواية "ساحر أو مجنون" لأيمن العتوم.
- كتاب " الرّواية والتّاريخ" لنضال الشمالي.

- كتاب "الرّواية والتّاريخ (دراسات في التّخييل المرجعي)" لمحمد القاضي.
- كتاب "النّقد الأدبي الحديث" لمحمد غنيمي هلال.
- كتاب " تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقيّة) " لإبراهيم صحراوي.

وخلال فترة الدّراسة واجهتنا بعض الصّعوبات، منها صعوبة الإحاطة بالموضوع إحاطة جيّدة، لكن بتوجيه الأستاذة المشرفة نرجو أن نكون قد وُفّقنا، فمن هنا نتقدّم بجزيل الشّكر للأستاذة التي دعّمت ووجّهت بحثنا، وعاملتنا معاملة راقية جدّا.

الفصل الأوّل: الشخصيّات بين المتخيّل والتّاريخي.

المبحث الأوّل: الشخصيّات التّاريخيّة

المبحث الثاني: الشّخصيّات المتخيّلة

تقديم:

اهتمّت نظريات السّرد بدراسة مكونات الرّواية والتّي من أبرزها الشّخصيّة، والتّي تعتبر من أهمّ مكونات العمل الرّوائي، فهي بؤرة الرّواية ومحورها، تسهم في استمرارية الأحداث وتصوير مسارها "اسمها يشكّل أحد الخطوط المهمّة وعلامة على تحديد سماتها المعنويّة، ويمثّل بتواتره عاملا أساسيّا في وضوح النّص ومقروئيّته "[1].

وفي رواية "ساحر أو مجنون" يتجسّد لنا الاهتمام بالشّخصية التّاريخيّة كعنصر أساس، ويتوضّح لنا ذلك أكّثر من خلال عنوان الرّواية الذي جاء شاملا وملمّا بموضوعها، بحيث يتحدّث الرّوائي عن شخصيّة "المتنبّي" كشخصيّة تاريخيّة عظيمة، فقد كتب أيمن العتوم روايته عن شاعر العصر العبّاسي (أحمد بن الحسين) واستّند في كتابته إلى شخصيات تاريخيّة ثانويّة وأخرى متخيّلة أسهمت في استمرار أحداث العمل الروائي وربطها "فالرّواية التّاريخيّة تزاوج عادة بين الشّخصيّات التّاريخيّة والشّخصيّات المتخيّلة"[2]، باعتبار أنّ "الشّخصيّة المتخيّلة في الرّواية التّاريخيّة شخصيّة مكمّلة لمشروع وضعه الرّوائي وأراد إتّمامه من خلال هذه الشّخصيّات "[3] وهذا ما وظّفته رواية "ساحر أو مجنون".

[1]- إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقية)، دار الآفاق، الجزائر، ط1، 1999، ص161.
[2]- محمّد القاضي، الرّواية والتّاريخ(دراسات في التّخييل المرجعي)، دار المعرفة، تونس،ط1، 2008، ص36.
[3]- نضال الشمالي، الرّواية والتّاريخ(بحث في مستويات الخطاب في الرّواية التّاريخيّة العربيّة)، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2006، ص233.

المبحث الأوّل: الشّخصيّات التّاريخيّة

وهي الشخصيات التّي أحدثت بحضورها تغيرات في عصرها، واستمرّ ذكرها إلى اليوم بما تركته من تأثير في تاريخ الأمّة "أي الشّخصيّات التّي ينشئها أصحابها انطلاقا من شخوص ذات وجود فعلي في التّاريخ"[1]، وهذا ما قام به أيمن العتوم في استحضاره شخصيّة "المتنبّي"، وذلك رغبة منه في إعادة إحيائها لتأثره بها، وليؤثر على القرّاء بها، ومنه إحياء التّاريخ وإحياء بطولات هذه الشّخصيّة لما تركته وخلّدته من أشعار لا يزال الدّارسون والأدباء يعودون إليها إلى اليوم، وهذا ما جعل الماضي والحاضر أكثر ارتباطا، فالسّبب الرئيس الذّي جعل الكاتب يلجأ إلى الرّواية التّاريخيّة وإلى شخصيّة "المتنبّي" هو "بعث مجد الماضي وإحياؤه مجددا في الأذهان، فعندما يختار الكاتب علما من تاريخ أمّته ويعرضها روائيّا فإنّما يزيد الصّلة بين الماضي والحاضر وثوقا"[2].

إنّ الكاتب حين يتعامل في روايته مع الشّخصيّة يكون محصورا بها ومقيّدا، فلا يستطيع التّصرف في هذه الشّخصيّات بحيث "يفرض فيها على الرّوائي الرّاغب بالانطلاق شروطا معيّنة أثبتها التّاريخ، فلا يستطيع الرّوائي أن يقف أمامها إلاّ مطيعا، فأيّ مخالفة بحقّ الشّخصيّات التّاريخيّة تفقد العمل مصداقيّته على مستوى الحكاية، فالرّواية التّاريخيّة تفرض صرامتها الوثائقيّة دائما، لذا فإنّ الرّوائي مطالب بأن يوفّي الشّخصيّات الحقيقيّة حقّها التّاريخي"[3]، فأيّ إضافات يقدّمها الرّوائي غير موجودة في التّاريخ تعتبر تزييفا للتّاريخ بحدّ ذاته، ومن بين الشّخصيّات التّاريخيّة التّي وظّفها أيمن العتوم نجد:

1) أحمد بن الحسين (أبو الطيّب المتنبّي):

وهو الشّخصيّة المحوريّة في الرّواية، من خلالها تتطوّر الأحداث، ويتّضح ذلك من خلال العنوان الذّي يجمع بين صفتين أطلقهما الرّوائي على هذه الشّخصيّة (ساحر

[1]- الصادق بن ناعس قسومة، علم السرد (المحتوى والخطاب والدّلالة)، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرياض، ط1، 2009، ص191.

[2]- نضال الشمالي، الرّواية والتّاريخ، ص136.

[3]- المرجع نفسه، ص130.

أو مجنون)، فيعدّ بطل الرّواية على اعتبار أنّ كلّ الأحداث مرتبطة به، بحيث تتطرّق إلى محطّات حياته بطريقة وصفيّة من خلال سردها بضمير المتكلّم، فالمتنبّي يحضر بمثابة الرّاوي لكلّ الأحداث. يقدّم نفسه كتاريخ حيّ لما يرويه من أحداث رفعت قيمته في العصر العبّاسي من مختلف النواحي.

يظهر ذلك في خوضه المعارك وقوّته وبسالته فيقول "**إنّ هذه الذّراع لم تخلق لتحمل فتات الطّعام، وإنّما لتحمل الرّمح الشّاجر في أرواح أمرائكم**"[1] كما يروي عظمته في الأدب بشكل عام، فقد تعلّم في مدرسة الصّبيان أصول النّحو ومختلف العلوم، وعندما كبر وانتقل إلى أنطاكيّة مكث فيها مدّة وصار يعلّم أهلها النّحو والشّعر، " **ثمّ اختلفت إلى مساجدها فأسندت ظهري على أسطواناتها، فأقبل عليّ أهلها أعلمهم النحو وأبصّرهم بالشّعر**"[2] وقد برزت مكانته في الشّعر بشكل خاص، فقد كان أعجوبة عصره ونادرة زمانه، ومن أعظم شعراء العرب، وأكثرهم تمكّنا من اللّغة العربيّة، وأعلمهم بقواعدها ومفرداتها، وقد كانت قوّته كلّها في كلامه

"أنا الذّي نظر الأعمى الى أدبي وأسمعت كلماتي من به صممُ

أنام ملئ جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جرّاها ويختصمُ"[3]

وقد أدلى أهل زمانه بتمكّنه في الشّعر، حتى الحاقدون الذّين يكتمون حقيقة هذا الأمر، وظلّ شعره إلى اليوم مصدر إلهام ووحي للشّعراء والأدباء، ولعلّ هذا أبرز سبب جعل الرّوائي يختار هذه الشّخصيّة التّاريخيّة (المتنبّي) كونه بطل العصر العبّاسي في فروسيّته وفي الأدب بشكل عام والشّعر بشكل خاص، وكونه من ناحية أخرى بطل كلّ العصور في قوله الشّعر، فله مكانة لم تتح مثلها لغيره من شعراء العرب بعد الاسلام.

يتجلّى من خلال هذه الرّواية أنّ أيمن العتوم وظّف سمة من سمات الرّواية التّاريخيّة وهي أن جعل "الأبطال في التّاريخ هم الأبطال في الرّواية وإن لم يمنعه ذلك

[1]- أيمن العتوم، ساحر أو مجنون، دار الرّموز العربيّة، تركيا، ط2، 2023، ص135.
[2]- المصدر نفسه، ص131.
[3]- المصدر نفسه، ص351.

من مدّ جناح المتخيّل على أبطال التّاريخ"[1]، أي جعل من بطل التّاريخ (أحمد بن الحسين) بطلا في الرّواية، واستعانته بشخصيّات غير تاريخيّة وإشراكها في الأحداث مع الشخصيّات التّاريخيّة بغرض استمرارية الأحداث وربطها.

وقد ظهر "المتنبّي" كشخصيّة متمردة في الرّواية، فقد كان أكّثر تمردا على ملوك زمانه ممّا عايشه من مجون معهم، وتحطّم أسس الخلافة بحكم الأعاجم على العرب "**إنّ هؤلاء الملوك لا يعدلون أقلّ من الهباء، وإنّهم لا همّ لهم إلاّ بطونهم وفروجهم....، وأمّا الدّولة فلا دولة، وأمّا حضور العقل فغياب، ومتى تقوم لنا قائمة إذا استمرّ الأمر على هذا النحو؟**"[2].

هذا ما جعله ينقلب على الدّولة وعلى الحكم، فلمّا بلغ اللاذقية راح يخاطب شبابها بالحال الذّي آلت إليه الدّولة من حكم الفسقة وجورهم، فلاقى إقبالا من قوم اللاذقية "**فقمت فيهم خطيبا:[..... إنّكم ترون أنّ هؤلاء الملوك الفسدة الفسقة لا يردعهم إلاّ السيّف وإنّني عزمت أن أقاتلهم حتى أظفر بملك لي ولكم نملأ فيه الدّنيا عدلا كما ملؤها جورا**"[3]. وهذا التّمرد الذّي انتهى بدخوله السجن بعد أن ظفر به أمير دولة حمص جعله يلقّب بالمتنبّي على عكس ما شاع عليه في التّاريخ، بأنّه لمّا كان مدّلا ببلاغته إدّعى النبوّة "**وغلبت الصّفة الأخيرة عليّ، فقالوا: هذا المتنبّئ...هذا المتنبّئ، ووجدها الحاسدون والحاقدون منفذا سهلا إلى أهل السلطة، فزادوا فيها حتّى ألّفوا بعض التّرهات قالوا إنّها قرآن أتيت به**"[4].

فلولا نكبات الدّهر التّي تفتك بصاحبها لحقّق المتنبّي مراده، لكنّه سجن مدّة عامين ولم يخرج إلاّ بمعونة ابن أمير حمص وشعرا قاله يتوب فيه، ليلقّب نفسه بأبي الطّيب "**فتبعني الصبيّ .... وهو يقول: [لا تتأثّر بما قاله أبي في قصيدتك، إنّه يفرّ من أن ير وجه من نقلوا إليه أنّه كافر زنديق، لا عليك يا ...] وتوقّف فنظر إليّ وهتف**

[1]- محمد القاضي، الرّواية والتّاريخ (دراسات في التخييل المرجعي)، ص37.
[2]- أيمن العتوم، ساحر أو مجنون، ص116.
[3]- المصدر نفسه، ص137.
[4]- المصدر نفسه، ص147.

: أما كنّيت نفسك ؟ فقلت من فوري: [الطيّب، أبو الطيّب] فأكمل: لا عيك يا أبا الطّيب"[1].

كما نجد أنّ بطل الرّواية (أحمد بن الحسين) شخصيّة نامية متطوّرة، وهي التّي تنمو بتقدّم الأحداث، بحيث يجد القارئ في بداية قراءته صعوبة في فهم أحداث الرّواية وبتقدّمه في القراءة تتكشّف وتتوضّح له هذه الشخصيّة (هذا بالنّسبة للقارئ)، أمّا بالنّسبة للشخصيّة في حدّ ذاتها، تنمو فتغيّر من مواقفها بتأثّرها وتأثيرها، وينتهي تفاعلها بتحقيق مرادها أو الاخفاق في بلوغه، وبالتّالي "هي التّي تتطوّر قليلا قليلا بصراعها مع الأحداث أو المجتمع، فتتكشّف للقارئ كلّما تقدّمت في القصّة وتفاجئه بما تغنى به من جوانبها وعواطفها الانسانيّة المعقّدة"[2] التي يستدعيها مسار السرد.

وهذا ما نجده في شخصيّة المتنبّي، بحيث تغيّرت حياته اجتماعيا من حالة الفقر التّي كان يعاني منها، فلم يكن له مال غزير يذكر **" ووجدت نفسي وحيدا وقد نهشني الجوع والفقر كما لم ينهشني من قبل "[3]**، فقد كان يعاني إضافةً إلى الأسى الذي يعيشه بسبب فسق وجور حكّام زمانه، حالة الفقر والجوع والنحول، لتتغيّر حياته إلى الاستقرار والنّعيم عندما سافر إلى حلب ولاقى سيف الدّولة فصار يلقي عليه شعرا فأمكثه عنده وهيّأ له ظروف العيش.

كما نجد أنّ شخصيّة المتنبّي رغم الفقر الذي عاناه إلاّ أنّه كان حرّا، عاش في الكوفة بدايةً، ثمّ بدأ يرتحل من مكان إلى مكان، لكن بسبب تمرده فقد حرّيته في السّجن، فتغيّرت حياته من حالة الحريّة، إلى السّجن ثمّ الخروج إلى العالم من جديد.

كما تغيّرت حياته من ناحية أهدافه بأن يبلغ الحكم يوما ما، هذا ما جعله يبقى عند سيف الدّولة ويقول شعرا يمدحه فيه على أمل أنّه سيصبح واليا يوما ما، لكن عندما لم يجد ضالّته مع سيف الدّولة، رحل إلى مصر عند كافور الإخشيدي، لكن كان الحال معه أسوء من حاله مع أمير دولة حلب، فقد فُرضت عليه الإقامة الجبريّة، لينتهي به المطاف بعدم تحقيق مراده فيقول:

---

[1]- أيمن العتوم، المصدر السّابق، ص215.
[2]- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر، مصر، ط1، 1997، ص566.
[3]- أيمن العتوم، المصدر السّابق، ص83.

"ما كلّ ما يتمنّى المرء يدركه تجري الرّياح بما لا تشتهي السّفنُ"[1].

فننتهي إلى أنّ هذه الشّخصيّة النّامية أخفقت في بلوغ مرادها وهدفها، ليُقتل المتنبّي في أواخر شهر رمضان.

إضافة إلى الشخصيّة الرئيسية نجد حضورا مكثّفا لشخصيّات تاريخيّة ثانويّة أسهمت في بناء الحدث الرّوائي وهي:

1)الجدّة:

ساعدت هذه الشخصية في مجريات أحداث الرّواية لما قدّمته من تفاعلات، فقد كانت الأمّ الثّانية للمتنبّي، بحكم أنّه يتيم الأمّ، تقول: **"اليتيم يحتاج إلى أمّ، أنا أمّه بعد أمّه"[2]**، كما أشرفت على تعليمه في مدرسة الصّبيان، وقد كانت الدّافع له لأن يصبح شاعرا وفارسا **"أولئك الذين لا يصولون بالكلمة كما يصولون بالسّيف تبقى فروسيّتهم ناقصة"[3]**، فهي من شكّلت عزائمه، فأرسلته إلى أعراب قبيلة في منطقة يُقال لها (البوكمال) ليتعلّم البلاغة والفصاحة والفروسيّة أيضا، فمكث فيها مدّة ثلاث سنوات وعاد من جديد إلى جدّته في الكوفة، وقد أخذ من العلم والفروسيّة كما يجب له.

نجد من طرائق استحضار التّاريخ في الرّواية التّاريخيّة، هو أن تُنسب أعمال لا تاريخيّة إلى شخصيّات تاريخيّة "فالرّواية التّاريخيّة تُزاوج عادة بين الشخصيّات التّاريخيّة والشّخصيّات المتخيّلة، إلاّ أنّ الأمر لا يقف فيها عند هذا الحدّ، وإنّما يتجاوزه إلى ظاهرة أخرى وهي إسناد أعمال لا تاريخيّة إلى الشّخصيّات التّاريخيّة، وأعمال تاريخيّة إلى الشّخصيّات المتخيّلة، ومن ثمّ فإنّ الشّخصيّة في الرّواية التّاريخيّة محل يتقاطع فيه التّاريخي والرّوائي"[4]، ضمن الاستراتيجية التي يرسمها السارد في روايته.

وهذا ما قام به أيمن العتوم، حيث أنّه أدمج شخصيّة الجدّة مع عالم الجنّ الذي ابتكره الرّوائي بحكم أنّ التّاريخ لم يذكر في سيرة المتنبّي بأنّ أباه ينتمي إلى هذا

[1]- أيمن العتوم المصدر السّابق، ص436.
[2]- المصدر نفسه، ص12.
[3]- المصدر نفسه، ص17.
[4]- محمّد القاضي، الرّواية والتّاريخ (دراسات في التّخييل المرجعي)، ص37/36.

العالم، أو أنّ جدّته تتعامل معهم، فجعل الجدّة في تماس مع الشّخصيّة المتخيّلة (السّقاء) الذي بدوره ينتمي إلى عالم الجنّ **"أهو جنيّ أم بشريّ؟ أهو أبي أم لا؟ ما يكون هذا المخلوق؟]، سؤال لا جواب له يا بنيّ وقد حار فيه هو وأنا"**[1]، وقد كانت جدّة المتنبّي سنده بأن ربّته وعلّمته الفروسيّة.

وحين كبر المتنبي وعاد إلى الكوفة اختارت له زوجا لتكون رفيقة له في دربه ومؤنسته، فخرج من الكوفة من جديد ومعه زوجته، فتموت جدّته بعد مدّة عندما بلغها كتاب من حفيدها المتنبّي على أنّه لا يزال على قيد الحياة **"فلمّا وصل الكتاب إليها، فرحت فرحا شديدا وقبّلت الكتاب ودسّته في صدرها واختلج فرحها مع حزنها فلم تستطع تحمّلهما معا فهوت من لحظتها وماتت"**[2]. وهو ما يعكس قربها الكبير منه وخوفها عليه.

2) أبو الطّاهر القرمطي:

هو شخصيّة تاريخيّة شريرة، فقد كان من المجرمين الذين استباحوا دماء الأطفال والنّساء والرّجال الضّعفاء، هدّم الكوفة فلم يتبقّ منها شيء، ونشر الرّعب بين قاطنيها، كان زعيم القرامطة رغم أنّه لم يتجاوز الثّامنة عشر من عمره، يقدّم لنا أيمن العتوم وصفا لهذه الشّخصيّة على لسان المتنبّي فيقول: **"كان صغيرا في العمر دون الثّامنة عشر، عظيما في الخليقة، مسربلا بالحديد، وكان جنده يحفّون به في جلال وتوقير وانصياع"**[3]، وبعدما أفسد في الأرض قتلا ونهبا ودمّر الكوفة، ذهب إلى بيت الله الحرام، اقتلع الحجر الأسود من الكعبة ونزع ستارها وقتل الحجاج، فحادثة اقتلاع الحجر الأسود من الكعبة على يد القرامطة حادثة تاريخيّة مشهورة في تاريخ الأمّة الإسلاميّة، وما جعل أبا الطّاهر القرمطي يتطاول بهذه الطريقة هو أنّ الخلافة في بغداد مهدّمة فلم يعد للمسلمين خليفة واحد.

[1]- أيمن العتوم، ساحر أو مجنون، ص64.
[2]- المصدر نفسه، ص275.
[3]- المصدر نفسه، ص37.

3) لؤلؤ الغوري:

شخصيّة تاريخيّة من العصر العبّاسي، وهو والي حمص آنذاك، وهو من ظفر بالمتنبّي بعد أن تمرّد على الدّولة وسجنه مدّة عامين، والغوري ألصق صفة النبوّة بالمتنبّي لكي يضعفه من تمرّده ويستطيع القبض عليه **"غير أنّ أحد قادته قام بين يدي المجتمعين فهتف: نعلم كلّنا أنّه يدعو لنفسه لا إلى رسالة، وأنّه يدعو لملك لا إلى نبوّة، فكيف سيصدّقنا النّاس؟"**[1]

4) الزّوجة:

يخبرنا التّاريخ بأنّ المتنبّي لم يكن من المهتمّين بأمر النساء، فقد كان طربه للسّيوف لا للقيان وترك النّساء لأجل مجده الذي يطمح له، إلاّ أنّ جدّته اختارت له زوجة تعينه على خطوب الدروب، فتزوّج وفعلا كانت زوجته سنده في دروبه ترتحل معه أينما حلّ وارتحل، فعظمت في عينه، يقول: **"وأنّ حرماني من النّساء كلّ النّساء في كلّ ما انقضى من حياتي جعلني أقع في حبّ أوّل امرأة حقيقيّة تنظر هذه النّظرات الودودة إليّ"**[2] لتمرض بعدها بالحمّى فتفارق الحياة.

5) محسّد:

وهو الابن الوحيد للمتنبّي الذي ولد عام (328هـ)، ولم يسمّي ابنه محسّد عبثا بل هي تسمية جاءت متوافقة مع جنون المتنبّي بشجاعته وفروسيّته وثورته، فكأنّه يخبرنا من خلال إسم ابنه بأنّه لم يكن محسودا فحسب بل كان محسّدا، وقد كان هذا الأخير بنفس شجاعة أبيه، كيف لا وهو من صاحبه في كلّ دروبه وخطواته وتعلّم منه **"وابني كان حارسي من الموت الذي كان يضحك منيّ ومنه"**[3]، ليقتل المتنبّي وابنه في العشر الأواخر من شهر رمضان.

6) سيف الدّولة الحمداني:

هو أمير حلب في تلك الفترة، كان من المهتمّين والمحبّين للشّعر والفنّ، فحوى بلاطه الكثير من الشّعراء والأدباء والمفكّرين أمثال ابن خالويه وأبي نصر الفرابي

[1]- أيمن العتوم، المصدر السابق، ص151.
[2]- المصدر نفسه، ص249.
[3]- المصدر نفسه، ص552.

وغيرهم. وقد حارب البيزنطيّين وأسّس إمارة حلب على عكس الملوك الذين كانوا يحاربون بعضهم بعضا، وشتّتوا أسس الخلافة، من هنا نمت صداقة حقيقيّة بين المتنبّي وأمير حلب ليمدحه في الكثير من قصائده، **"غير أنّها اليوم (حلب) أخرى، إنّ فيها أميرا فوق مفرقها تاج مرصّع بالعروبة والمروءة، الصّفتين اللّتين قضيت ما مضى من حياتي أبحث عنهما في أمير فعييت "**[1]. ولأنّ المتنبّي جعل مدح الملوك سببا له ليحقّق أهدافه، ولأنّ الملوك أيضا يجودون بكلّ شيء عدا الملك، هذا ما جعل صداقة المتنبّي بالأمير تنتهي عندما غادر المتنبّي حلب بحثا عن سلطة له عند والي مصر.

7) أبو نصر الفرابي:

وهو الفيلسوف الذي التحق بحاشية أمير حلب، أسهم في تعليم المتنبّي وتلقينه الحكمة في أشعاره " **فقال: [يا أبا الطّيب، إذا أردت لشعرك الخلود فزيّنه بالحكمة"**[2]. يعتبر الفرابي شخصيّة تاريخيّة خالدة في مجالها، فهو من أكبر الفلاسفة، وقد لُقّب (بالمعلّم الثّاني) بعد أرسطو، إلاّ أنّ أيمن العتوم جعله في الرّواية شخصيّة ثانويّة كان لها حضور مؤقّت في أحداثها مع شخصيّة المتنبّي، وهذه من سمات الرّواية التّاريخيّة "فمن كان بطلا في التّاريخ قد يغدو شخصا ثانويّا في الرّواية، والعكس يصدق في ذلك"[3]، لينتهي حضوره في الرّواية بعد رحيله عن (حلب) ووفاته.

8) خولة:

أميرة بني حمدان وأخت سيف الدّولة الحمداني، كانت ممّن أحبّ شعر المتنبّي فدافعت عنه أمام الحاقدين وحفظت من شعره، لتموت بعد ذلك ويبلغ خبر وفاتها إلى المتنبّي فيرثيها في قصيدة له فيقول:

"غدرتَ يا موت كم أفنيت من عددٍ بمن أصبتَ وكم أسكتَّ من لَجبِ
وكم صحِبتَ أخاها في مُنازلةٍ وكم سألت فلم يبخل ولم تخِبِ"[4] **.**

[1]- أيمن العتوم، المصدر السّابق، ص293/292.
[2]- المصدر نفسه، ص315.
[3]- نضال الشمالي، الرّواية والتّاريخ، ص230.
[4]- أيمن العتوم، المصدر السابق، ص526.

9) كافور الإخشيدي:

وهو والي مصر عام (923م)، يقدّم لنا أيمن العتوم وصفا لهذه الشّخصيّة التّاريخيّة على لسان المتنبّي فيقول: **"فلمّا دخلت على (كافور) في ذلك اليوم الذي كان كلّ ما فيّ ينوح فيه، رأيته فوق ما صوّر لي، أسود، غليظ المشفرين، ضخم الرّأس، عريض الجثّة، بطينا، ساقاه تصلحان للدّمالج، وعيناه بيضاوان، يلمع بقايا الزّيت في وجنتيه"**[1]، وهذا هو المعروف عليه في التّاريخ بأنّه كان مسلوب الرّجولة وكان دميما، قبيح الشّكل، مثقوب الشّفة السفلى وبأنّه حبشيّ أسود كان عبدا في البداية ليتمّ بيعه في سوق الرقيق، فاشتراه والي مصر (ابن طغج) فتعلّم القراءة والكتابة ليصبح حاكما بعده. وقد اشتهر بحبّه للأدب والشّعر، هذا ما جعله يستدعي المتنبّي إليه ليمدحه، لكن كان ذلك مقابل إعطائه ولاية للمتنبّي، إلاّ أنّ وعوده كانت كاذبة بل وفرض الإقامة الجبريّة على المتنبّي حتى لا يهرب فيهجوه بعدها.

10) فاتك أبي شجاع:

وهو من الرّوم، تمّ أسره على يد (ابن طغج) في إحدى معارك الإخشيد مع الرّوم، ليُعجب (ابن طغج) ببطولاته وبسالته فجعله حرّا، ليصبح بذلك أحد أهمّ قادة الإخشيد، شارك في العديد من الحروب وفاز فيها ففتح منطقة الرّملة والفيّوم وتعاون مع المتنبّي للقضاء على كافور الإخشيدي باعتبار أنّه لا يخدم الإخشيد إلاّ ظاهرا **"قال لي أبو شجاع: [لقد توثّقت من عدد كبير من القبائل العربيّة، وسأجمعها في الفيّوم، وأريدك أن تبثّ فيهم الحماسة لقتال هذا الذي اغتصب السلطة من الإخشيد]"**[2]. ينتهي حضوره في الرّواية بموته دون أن يحقّق مراده ومراد المتنبّي.

11) عليّ بن حمزة:

وهو راوي قصائد المتنبّي، فقد كان المتنبّي ينشده قصائده وهو يدوّنها **"جاءني (عليّ بن حمزة) بكلّ ما أريد، قال: يا مولاي لي طلب يتيم واحد ....، هتف: أن أكون راوية أشعارك].[ستكون]. [وأن أكتب عنك كلّ شعرك].[لابأس]"**[3]. ليصير رفيق

[1]- أيمن العتوم، المصدر السابق، ص404.
[2]- المصدر نفسه، ص448.
[3]- المصدر نفسه، ص513.

دربه بعد ذلك، إلاّ أنّه لمّا بلغ للمتنبّي أمر قتله وأنّ الملوك وفاتك الأسدي يدبّرون له ليقتلوه جعل عليّ بن حمزة يسير بديوانه إلى بقاع الأرض ولا يكمل معه كي لا يضيع كلّ ما كتب هباءً منثورا.

12) ضبّة:

وهو أحد لصوص بغداد، أخذ في عرض ونسب المتنبّي، هذا ما جعل المتنبّي يهجوه في قصيدة له يقول فيها:

" ما أنصف القومُ ضبّة وأمّه الطُرطُبّة
رَمَوا برأس أبيه وباكُوا الأُمّ غُلبّة"[1]

وكانت هذه القصيدة هي السبب الشائع في التاريخ في قتل المتنبّي.

13) ابن العميد:

وهو وزير ركن الدّولة البويهيّ في بلاد الرّوم، وقد كان صاحب فلسفة ومهتّم بالأدب والشّعر على نحو خاصّ، فقد أدرك قيمة ما كتب المتنبّي هذا ما جعله ينسحب من مشاركته مع الملوك في قتل المتنبّي، لأنّه سيخلدُ بشعره **" فأجابه (ابن العميد):[لن تقدروا عليه...إنّما قصدتُ أنّ قتله لن يغيّر في خلوده شيئا، بل سيكون أوسع بوابة يدخل منها إلى ذلك الخلود"**[2].

14) عضد الدّولة البويهيّ:

وهو ملك أعجميّ في بلاد الرّوم، وقد كان أحد أعداء سيف الدّولة الحمداني، استضاف المتنبّي عنده في (شيراز) لمّا علم بما له من قوّة في قول الشّعر، فأغدق عليه بالمال الكثير حتّى يمدحه، إلاّ أنّ المتنبّي فضّل دائما سيف الدّولة على كلّ الملوك، **"فأجبت سائلي: [إنّ سيف الدّولة كان يعطي طبعا وعضد الدّولة يعطي تطبّعا]"**[3] هذا ما جعله يحقد على المتنبّي ويشارك الملوك في قتله.

15) فاتك بن فراس الأسدي:

وهو قاتل المتنبّي بحجّة أنّه هجا ابن أخته (ضبّة)، إلاّ أنّه استعمله الملوك الحاقدين كوسيلة وكسبب لقتل المتنبّي، وأمّا فاتك فقد قتل المتنبّي لأجل الحصول على المال **"ونظر**

[1]- أيمن العتوم، المصدر السّابق، ص224/223.
[2]- المصدر نفسه، ص553.
[3]- المصدر نفسه، ص551.

الملوك بعضهم إلى بعض وقد احتقروا أنفسهم أن يجتمعوا مع قاطع طريق... وسأله ابن العميد: [أَلِلمال أم لضبّة؟] فقال وهو يضحك: [للمال طبعا، أمّا ضبّة فليذهب إلى أمّ قشعم...المال المال أيّها السّادة]"[1]

16) سراج:

وهو خادم المتنبّي، كان يرافقه في رحلاته مع ابنه محسّد وخادمه الآخر مسعود، وقد شهد موت المتنبّي على يد فاتك الأسدي، فيقدّم لنا الكاتب وصفا دقيقا على لسان سراج للحظات وفاة المتنبّي **" ليكتب عنّي: [لقد هووا عليه بكلّ ما في شياطين الأرض من غلٍّ، فطعنة في الصّدر، وضربة في اللبّة، ووكزة في البطن ورأيته يبتسم ثمّ نزل أبو الجبناء أبو فاتك عن فرسه والمتنبّي يجود بأنفاسه الأخيرة، فجزّ عنقه، ثمّ ركز فاتك رمحه على الأرض وعلّق رأس المتنبّي عليه"**[2].

[1]- أيمن العتوم، المصدر السابق، ص554.
[2]- المصدر نفسه، ص565/566.

المبحث الثاني: الشخصيّات المتخيّلة

وهي التّي يعتمد عليها الرّوائي من أجل أن يطلق العنان لروايته بالاستمرار، فالشّخصيّات المتخيّلة لا تقيّدها حدود الزّمان ولا المكان، وبالتّالي "تعدّ ملاذ الرّوائي وهدفه الأسمى، إذ لا قيود تحدّ من نشاطها، نرنو إليها حرّة تتصرّف على سجيّتها، يشكّلها الرّوائي كيفما أراد"[1]، فبها يستطيع الكاتب إنجاز مشروعه كما يجب، ممّا يجعل الرّواية متكاملة ومبنيّة من كلّ الجوانب.

تساعد الشخصيات المتخيّلة الرّوائي على ربط الأحداث وإن جعلها في تماس مع الشّخصيّات التّاريخيّة، فالشخصيّات المتخيّلة "لا تحدّها مرجعيّة ولا تقيّدها نصوص التّاريخ القديمة، فهي ليست وليدتهم، وإنّما وليدة تمازج الأفكار وتبلورها على نحو خاصّ"[2]، بها يكتمل المشهد الذي يعتبر هدف الكاتب الذي يريد تبليغه للقارئ "فهي شخصيّات تكمّل المشهد وتصنعه أحيانا كثيرة، إنّها شخصيّات تولد أنّى شاءت وتموت أنّى تشاء دون شروط مسبقة تتحكّم بها"[3].

ولقد استطاع الكاتب من خلال شخصيّات متخيّلة أن يكمل المشهد للقارئ حول حياة الشّاعر الثّائر (المتنبّي)، وما جعله ينزوي إلى شخصيّات متخيّلة من عالم الجنّ ويوظّفها ويجعلها في تماس مع الشّخصيّات التّاريخيّة، هو ما كان يملكه المتنبّي من بيان وفصاحة وقوّة في قول الشّعر، فجعله إمّا أنّه ساحر في أنّه يملك سحر البيان، أو أنّه مجنون بفروسيّته وثورته وبسالته، ومن هذه الشّخصيّات المتخيّلة نجد:

1) أنيان:

وظّف الكاتب شخصيّة (أنيان) على أنّه ملك الجنّ، ليُكمّل لنا بذلك مشهد ولادةّالشّخصيّة التّاريخيّة (المتنبّي) على أنّه ابن الجنّ **"رفع أنيان الطّفل بيمينه: [سأهبه الخلود، لن يكون مثل غيره، لن يكون فانيا، سأهبه أعمار الجنّ جميعهم] ، ثمّ جاءه صوت من السّماء :[قل يا أحمد]، فضحك (أنيان)....ليؤكّد اسمه:[اسمه**

[1]- نضال الشّمالي، الرّواية والتّاريخ، ص135.
[2]- المرجع نفسه، ص233.
[3]- المرجع نفسه، ص235.

أحمد] ثمّ طاف به أصقاع الأرض كلّها، حتّى أنشد شعره في كلّ بقعة"[1] ولأنّ كاتب الرّواية رأى أنّ ما يقوله المتنبّي يفوق الشّعر جعله كأنّه ابن الجنّ وأنّ ملك الجنّ(أنيان) هو من كان السّبب في قوله الشّعر وخلوده إلى اليوم.

كما جعل لنا هذه الشّخصيّة (أنيان) هو آخذ والد المتنبّي (السقّاء) الذي يعتبر مجهولا في سيرة المتنبّي في تاريخنا، وأبدله بشبيه له في الأرض **"ثمّ هتف أنيان مغضبا :[الآن ائتوني بأبيه] أنت أبوه، ولكنّنا أحقّ به منك، سنلقي على أعلمنا وأبلغنا شبهك، ويكون أباه أمام النّاس، أمّا أنت فإلى غيابة]"**[2]. فالتّاريخ لم يذكر لنا أنّ المتنبّي ينتمي إلى عالم الجنّ، وأنّه ابن الجنّ، أو أنّ أباه أخذته الجنّ وألقت بشبهه في الأرض، إنّما هذا من وحي خيال الكاتب ليكمل لنا بذلك مشهد ولادة الشّخصيّة البطلة في الرّواية.

2) السّقاء:

وهي شخصيّة متخيّلة وظّفها الكاتب على أنّها والد المتنبّي، فالمعروف في تاريخنا أنّ أب المتنبّي هو الحسين، إلاّ أنّ الكاتب أضفى على هذه الشّخصيّة التّاريخيّة جانبا من التّخييل وهو أن جعل الجنّ تأخذه وتلقي بشبهه في الأرض، وهو هذا السّقاء الذي بدوره ينتمي إلى عالم الجنّ كونه يمتلك قدرات الجنّ **"ذلك أنّ أبي أحد علماء الجنّ كما قلت لكم.... كان يقفز لا يمشي، ويطير لا يسير.....، طار بي أبي .... مضى بي إلى بادية قال لي: إنّها بادية (السماوة)، وإنّها المكان الأفضل من أجل أن تتعلم أمرين: الفروسيّة والفصاحة"**[3]، فهو الذي رافق المتنبّي لتعلّم الفروسيّة والفصاحة.

ومنه ننتهي إلى أنّ الكاتب استطاع أن يدمج لنا الخيال بالواقع من خلال عنصر الشّخصيّة، وذلك بحضور الشخصيّة التّاريخيّة المحوريّة (أحمد بن الحسين) مع كلّ الشخصيّات التّاريخيّة الثّانويّة والمتخيّلة وارتباطها بهم في مختلف الأحداث.

[1]- أيمن العتوم، ساحر أو مجنون، ص11/10/9.
[2]- المصدر نفسه، ص 11.
[3]- المصدر نفسه، ص45.

الفصل الثّاني: بناء المكان والحدث

المبحث الأوّل: المكان بين التّاريخ والرّواية

1- المكان المغلق

2- المكان المفتوح

3- أمكنة الانتقال

المبحث الثاني: الأحداث ما بين المتخيّل والتاريخي

1- الأحداث التّاريخيّة

2- الأحداث المتخيّلة

المبحث الأوّل: المكان بين التّاريخ والرّواية

يعدّ المكان من العناصر الأساسيّة لبناء الرّواية، فهو لا يقلّ أهميّة عن مكونات السّرد الرّوائي الأخرى، وقد أصبح الاهتمام به من سمات الإبداع الفنّي، على عكس ما كان في الرّواية الكلاسيكيّة، التي أولت اهتمامها بالزّمن كأهم عنصر من عناصر السّرد، ليأتي بعده المكان كعنصر ثانويّ في الإبداع الفنّي والدّراسات النقديّة، وعليه فقد أصبح يعدّ أحد الرّكائز المهمّة في جنس الرّواية فقد "اكتسب قيمته عبر اندماجه بالعناصر السّردية الأخرى (الحدث، الشخصيّة، والزّمان...إلخ) اندماجا لا سبيل إلى فصله"[1]، ويرجع ذلك لكونه يعدّ "حقيقة معايشة ويؤثّر في البشر بنفس القدر الذي يؤثّرون فيه، فلا يوجد مكان فارغ أو سلبيّ"[2]، وتتشكّل صورة المكان في ذهن القارئ عن طريق الوصف الدّقيق الذي يقدّمه الرّوائي للأمكنة التي يذكرها في روايته سواءً كانت أماكن تاريخيّة أم من صنع خيال الكاتب.

وقد يعمد الرّوائي إلى ألاّ يذكر لنا اسم العصر الذي سلّط عليه الضّوء في روايته التّاريخيّة، لكنّه يجعل القارئ يكتشفه من خلال الوصف الدّقيق لمميزات وخصوصيّات ذلك العصر بحيث "تعدّ عمليّة انسجام الوصف المكاني وتوافقه مع الحقبة التّاريخيّة التي تتّخذها الرّواية التّاريخيّة ميدانا لها من أهمّ المطالب عموما، فيجب أن يتحقّق فيها نوع من التّوازن والاتّفاق بين المكان الموصوف والمرحلة التّاريخيّة"[3] من أجل تحقيق عمليّة الانسجام.

وهذا ما حقّقه أيمن العتوم في روايته "ساحر أو مجنون"، بأن استطاع أن يقدّم لنا وصفا دقيقا لبعض الأمكنة والبيئة المكانيّة للعصر العبّاسي، ممّا يجعل القارئ يُدرك أيّ عصر ينتمي إليه المتنبّي ويتحدّث عنه الكاتب، وذلك بوصفه للأماكن المميّزة لهذا العصر، والتي هي متباينة عن أيّ حقبة تاريخيّة أخرى، بالرّغم من أنّ عمليّة وصف أماكن من حقبة تاريخيّة بعيدة، تجعل من العمل الرّوائي بالغ الصّعوبة، فإعادة تجسيد

1- كريم يوسف عليّ الزوبعي، وصف المكان وبناؤه في الرّواية التّاريخيّة العربيّة، مجلة كليّة الآداب، ع88 ، كليّة التّربية للبنات، جامعة الأنبار، 2009، ص193.
2- مهدي عبيدي، جماليّات المكان في ثلاثيّة حنا مينه (حكاية بحّار- الدقل - المرفأ البعيد)، الهيئة العامّة السّورية للكتاب، دمشق، ط1، 2011، ص33.
3- كريم يوسف عليّ الزوبعي، المرجع السّابق، ص195.

العصر وتمثيله من مخيّلة الكاتب، يجعل من الرّوائي محترفا إذا استطاع أن يقدّم الوصف الدّقيق لتلك الحقبة التّاريخيّة وبيئتها المكانيّة.

وقد استطاع أيمن العتوم أن يحقّق سمة الدّقة والتّعمق في وصفه بيئة العصر العبّاسي والمعطيات التي عاش فيها المتنبّي، وقسّم الأمكنة المذكورة في روايته (ساحر أو مجنون) إلى ثلاثة مستويات هي:

1- المكان المغلق:

ويعتبر بأنّه "هو مكان العيش والسّكن الذي يؤوي الإنسان ويبقى فيه فترات طويلة من الزّمن سواءً بإرادته أم بإرادة الآخرين، لهذا فهو المكان المؤطّر بالحدود الهندسيّة والجغرافيّة"[1]، ويكون أكثر ضيقا في المساحة عن المكان المفتوح، كما يكون أكثر انعزالا عن المجتمع مقارنة بالأماكن المفتوحة، وقد تنوّعت الأماكن المغلقة في رواية "ساحر أو مجنون" ما بين أماكن مغلقة اختياريّة وأخرى إجبارية:

أ. الأماكن المغلقة الاختيارية:

وهي تلك التي تأوي إليها الشّخصيّات بإرادتها دون قيود أو إجبار من الآخر، لما تشعر فيه من راحة واطمئنان، أي "هو المكان الذي يحمل صفة الألفة وانبعاث الدّفء العاطفي، ويسعى لإبراز الحماية والطّمأنينة في فضائه، لهذا فالشّخصيّة تسعى إليه بإرادتها دون قيد أو ضغط يقع عليها"[2]. ومن بينها نجد ما ذكره أيمن العتوم في روايته وهي:

1) البيت: تعدّدت في الرّواية أنواع البيوت المذكورة ما بين بيت بسيط وآخر فخم وآخر مهترئ، فالبيت البسيط يظهر في قوله: **"هيّأت جدّتي لي سريرا إليها في بيت بسيط، مكوّن من غرفتين إحداهما كانت تضمّنا والأخرى كانت تضمّ كعوبا من الجلد تحوي نفائس من العلم"**[3]، قدّم لنا الكاتب وصفا انتقائيّا للبيت الذي يعيش فيه المتنبّي وجدّته وهو الوصف الذي "يكون فيه الموصوف في حالة حركة وتظهر المقاطع الوصفيّة ملتحمة بالسّرد، ولا يوضّح هذا النمط من الوصف ملامح المكان على نحو

[1]- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثيّة حنا مينه (حكاية بحّار- الدقل - المرفأ البعيد)، ص44.
[2]- المرجع نفسه، ص47.
[3]- أيمن العتوم، ساحر أو مجنون، ص12.

تفصيلي، وإنّما يشير إلى الخطوط العريضة للموصوف بصورة انتقائية"[1]، كما أدّى وصف هذا البيت البسيط وظيفة تفسيريّة والتي "ينطوي الوصف فيها على بعد إيحائي رمزي يعبّر عن حال من أحوال الشّخصيّة الرّوائيّة"[2]، إذ يرمز لنا عن الحالة الاجتماعية لشخصيّة المتنبّي وجدّته فهما من الطبقة البسيطة.

كما يعبّر ذلك الوصف عن حضارة العصر العبّاسي، حيث بلغت أوجّها وذلك لاهتمام كلّ طبقات المجتمع بالعلم عامّة وبالشّعر والأدب خاصّة، فجعلنا ندرك أنّه حتّى البيوت البسيطة تهتّم وتضمّ جلودا من العلم النفيس.

يمثّل هذا البيت مصدر راحة وطمأنينة وأمان للمتنبّي وجدّته، يأويان إليه من سلبيّات المحيط الخارجي، إلاّ أنّه لم يبق بهذه الصورة بعد أن فقد المتنبّي جدّته وتوفيت ليغدو مكانا مؤلما لأنّه لم يحو سوى الذّكريات، فقد أصبح يعكس حالة الكآبة والقلق والخوف **"بيت يُسمعك صوت الموتى، إنّه قلق مستمرّ، وذات الصّوت الذي يطردك ويدعوك إلى أن تغادر حتّى لا تسمعه في كلّ لحظة"**[3].

أما النوع الثاني من البيوت فهو **الخرابة**، ويتجلّى هذا النوع من البيوت في قول الرّوائي **"أويت إلى خرابة خارج أحياء بغداد..... كانت الخرابة بيتا قديما...وكان قد نُهب بالكامل.... ومضيت إلى المطبخ، أو ما كان يمكن أن يكون مطبخا، أبحث عن بقايا طعام"**[4]، وهذا المكان هو مكان يدلّ على الفقر والبؤس ممّا يعكس الحالة الاجتماعيّة التي كان يعانيها المتنبّي بعد خروجه من الكوفة.

كما يعكس هذا البيت الحالة النّفسيّة للمتنبي من خلال وصفه فضاء الخرابة والوحشة والقلق اللّذان عانى منهما "فإنّك إذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان، فالبيوت تعبّر عن أصحابها، وهي تفعل فعل الجوّ في نفوس الآخرين الذين يتوجّب

[1] - كريم يوسف عليّ الزوبعي، وصف المكان وبناؤه في الرّواية التّاريخيّة العربيّة، ص199.
[2] - المرجع نفسه، ص198.
[3] - أيمن العتوم، ساحر أو مجنون، ص506.
[4] - المصدر نفسه، ص84/83.

عليهم أن يعيشوا فيه"[1]، إلاّ أنّ مكوث المتنبّي في هذه الخرابة لم يدم طويلا **" إذا هو الرّحيل"**[2]، فأيمن العتوم بهذا هو يرمز لنا عن استمرار المتنبّي في الحياة وتقدّمه.

أما النوع الثالث من البيوت فهو **الدّار**، وذلك من خلال قوله **"دخلنا أوّل الأمر من الباب إلى فناء وسيع، قد أقيمت في وسطه بركة يسبح فيها السّمك، خمس أذرع بخمسة، ماؤها الفيروز، وخريرها البلابل التي تنفي البلابل، وللفناء أربعة حيطان منضّدة الحجارة، يقف في كلّ جدار ثلاثة أبواب تعلوها أقواس حجريّة، يضفي كلّ باب إلى غرفة نظيفة مجهّزة للمبيت، تطّل شبابيكها من الجهة الغربيّة على الدّرب الذي يهوي إلى قصر (سيف الدّولة)، وفي الجهة التي يكون فيها الباب، تفضي الأبواب إلى ثلاث، واحدة للمطبخ جُهّز بالصحاف والجفان والملاعق وغرفة للخزين، تُخزّن فيها الحبوب والأطعمة...، وحمّام فيه ماء ساخن وبارد"**[3].

يقدّم لنا أيمن العتوم وصفا دقيقا هندسيّا تفصيليّا لمعالم المكان، وهو "الاستقصاء والتّحليل على نحو يُظهر ملامح المكان الموصوف جميعا وما يتعلّق بالمكان من المكوّنات والأشياء، ويمثّل لوحة وصفيّة خالية من السّرد تقريبا، ويسمّى هذا النمط من الوصف بالوصف التّفصيلي أو الاستقصائي"[4]، إلاّ أنّ الكاتب عندما عمد إلى هذا الوصف لم يقع في التّقرير لأنّه أدّى الوظيفة التّزيينيّة للمكان الموصوف، وذلك "عن طريق الإشارة إلى أهمّ مواطن الجمال في الشيء الموصوف"[5]، وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على براعة الرّوائي في وصفه ومعرفته التّامة بخصوصيّات ومميزات العصر الذي يكتب عنه وإلمامه به، كما يعكس لنا بهذا الوصف الحالة الاجتماعيّة والنّفسيّة للمتنبّي، وهي الاستقرار بعد الفقر والرّاحة النّفسيّة بعد المشقّة.

1- رينيه ويليك وأوستن وارين، نظريّة الأدب، ترجمة محي الدّين صبحي، دمشق، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيين، ط1، 1972، ص288.

[2] - أيمن العتوم، ساحر أو مجنون، ص89.

[3] - المصدر نفسه، ص307/306/305.

[4] - كريم يوسف عليّ الزوبعي، وصف المكان وبناؤه في الرّواية التّاريخيّة العربيّة، ص199.

[5] - المرجع نفسه، ص198.

2) الخان: والذي يظهر في قوله: **"نمت في خان وسخ، يعلو في فنائه ثغاء البهائم، وتفوح من جدرانه روائح الزبل والدّواب، لقاء خمسة دراهم "**[1]، وهو المكان الذي قصده المتنبّي للمبيت فيه وإراحة جسده من إعياء الطّريق، إلاّ أنّه كان مكانا وسخا لا يصلح لأن يكون مبيتا للإنسان، لينتهي الأمر بالمتنبّي على أن ينام ليلته مستيقظا، وقد اعتمد أيمن العتوم في وصفه لهذا الخان على صيغة سرديّة يبيّن فيها حركة الشّخصيّة.

3) المدرسة:

وتعدّ هذه المدرسة من الأماكن التي شكّلت عالم المتنبّي في صباه، والكاتب يكشف لنا من البداية أنّ المتنبّي كان من المهتمّين بالأدب والعلم منذ أن كان صبيّا. يقول: **"صحبتني جدّتي وأنا ابن أربع إلى مدارس الأشراف العلويين.... بأقواس أقرب إلى الدّائرة من نصفها، وأروقة فسيحة، ومداخل مزخرفة، وحجارة رماديّة كأنّ ذكرى الرّاحلين قد نثرت عليها ردائها، وفي مكان لا يدخل إلى ساحته إلاّ من يُؤذن له...، كانت المدرسة عالمي يومئذ "**[2]، فيعكس لنا حالته الشعوريّة عندما يذهب إلى المدرسة وهي الإحساس بالسّعادة والرّاحة وذلك من خلال قوله بأنّها كانت تمثّل عالمه يومئذ، وبالتّالي تمثّل المدرسة مكانا إيجابيّا.

4) جامع الكوفة:

يصفه الكاتب فيقول: **"ومضينا إلى جامع الكوفة، وهو يومئذ موئل العلماء في كلّ فنّ، وكان مسجدا عظيما، له قبّتان مذهّبتان تلمعان تحت رأد الضّحى، وله مئذنتان ضخمتان، تقوم كلّ واحدة منهما على قاعدة عظيمة، ترتكز عليها قاعدة أصغر منها، وترتكز عليها القاعدة الثّالثة الأصغر، وفوق هذه الأخيرة بناء المئذنة، بقبّتها الصغيرة التي ينفتح محيطها على ستّ نوافذ صغيرة تجعل المشهد أكثر روعة، وكلّ قاعدة من الأولى حتّى الثّالثة ترتفع بما لا يقلّ عن خمسة وعشرين ذراعا...."**[3]، فقدّم لنا أيمن العتوم وصفا تفصيليّا هندسيّا لجامع الكوفة يؤدّي الوظيفة التفسيريّة، حيث

[1] ـ أيمن العتوم، ساحر أو مجنون، ص111.
[2] ـ المصدر نفسه، ص13.
[3] ـ المصدر نفسه، ص242/241.

يبرز من خلاله براعة العمران في العصر العبّاسي ومستوى الحضارة في مجتمع هذا العصر، كما ظهرت الوظيفة التزيينيّة وذلك من خلال وصفه وإبرازه لكلّ مواطن الجمال في هذا الجامع ولما يحتويه من براعة ودقّة في البناء، ولقد كان الكاتب دقيقا مفصّلا في وصفه جعل من القارئ يستطيع رسم صورة عن هذا المكان وعن هذه الحقبة التّاريخيّة.

5) المجلس:

ويتجلّى وصفه من خلال قول الكاتب على لسان المتنبّي **"فأتينا المجلس فإذا هو عالي الأبّهة، فسيح الأنحاء، وثير الأرائك، طيّب الرّائحة، شديد الرّاحة، وإذا عن يمين الأمير أريكة أعدّت ربّما لنائبه أو قائد جيشه، وأريكة أخرى فارغة عن يساره، وقد وُضعتا مع سرير الملك على مرقاة واحدة، وحولهما أرائك كثيرة أدنى منها منزلة تشكّل حول سرير الأمير حلقة أشبه بحدوة الفرس "**[1]، من خلال هذا الوصف الذي قدّمه الرّوائي، قرّب الصورة للقارئ حول العصر العبّاسي وهو مجلس الخلافة الذي يجتمع فيه الوزراء والفلاسفة والشّعراء، عكس لنا هذا الوصف الحالة الاجتماعيّة والاقتصاديّة لهذا العصر، وما جعل المتنبّي ينضّم إلى هذا المجلس هو لأجل أن يُلقي شعرا لسيف الدّولة وهذا أيضا يعكس اهتمامهم بالشّعر.

6) المكتبة:

اهتمّ ملوك العصر العبّاسي وحتّى مجتمعاته بالعلم ومختلف مجالاته، فقدّم لنا أيمن العتوم وصفا إجماليّا لمكتبة القصر على لسان المتنبّي فقال: **"وكان (سيف الدّولة) قد أحدث مكتبة كبيرة في قصره، ذات حجرات كثيرة، وفي كلّ حجرة علم من العلوم، وقد رفدها بأدراج وكراسيّ لمن أراد الدّرس فيها، وأقام على رعاية هذه المكتبة العظيمة الشّاعر(أبا بكر الصنوبري) "**[2]، ومن خلال هذا الوصف تتضّح أكثر الحضارة التي بلغت أوجّها عند العبّاسيين، وهذا بسبب اهتمامهم بالعلوم والشّعر، ولا يكون أخذ العلم إلاّ من خلال الاختلاف إلى المكتبات وقراءة الكتب.

[1] ـ أيمن العتوم، المصدر السّابق، ص295.
[2] ـ المصدر نفسه، ص309.

7) القصر:

قدّم لنا الروائي وصفا لهذا المكان من خلال قوله: **"كان قصرا منيفا عالي الجدران، حجارته البنيّة تبدو كعوبا كأنّما سطّر عليها الفلاسفة حكمهم، والشّعراء الخالدين دُررهم، فلمّا فُتحت لنا الأبواب، ودخلنا من الباب العالي المصنوع من خشبٍ صلدٍ، حُفّ حتّى صار يلمع، مُوشًّى بالنمنمات.... ودخلنا بهو القصر، فإذا هو قائم على أعمدة من الرّخام تعلوها تيجان من الذّهب، وإذا جدرانه تخطف البصر لجمالها ولروعة النّقوش فوقها..."**[1].

لقد استثمر الكاتب عنصر المكان، وهي الأمكنة التّاريخيّة والتي من بينها القصور، فبوصفه للقصور جعل قرّاء هذه الرّواية يدركون مستوى الحضارة التي بلغها العرب في هذا العصر، فقد بلغوا أوجّ ازدهارهم ليُشيّدوا القصور وما تمتاز به من نقوش مُرصّعة بالجواهر والذّهب، فعكس لنا بهذا الوصف مظاهر الرّخاء والتّرف.

وقد قدّم لنا وصف القصور "بعبارات فيها من قوّة البيان ونصاعته ما تتلاشى أمامها الملامح الماديّة والهندسيّة للمكان ليحلّ محلّها ما ندعوه (بالطّاقة العاطفيّة للمكان) المتولّدة بفعل أسلوب الكاتب في عرض المكان الذي يجعلنا نحسّ إحساسا عاطفيّا بالمكان "[2]، وهذا ما قام به أيمن العتوم في وصفه القصور، فقد أضفى على وصفه الجانب الجمالي باستعماله عبارات مليئة بالتّشبيهات، كما وظّف العبارات الإنشائيّة ليعبّر عن براعة العمران والنّقوش، وبهذا فهو يعكس الحالة الاجتماعيّة والاقتصاديّة وحتّى الحضاريّة للعرب في العصر العبّاسي.

[1] ـ أيمن العتوم، المصدر السابق، ص294/293.
[2] ـ كريم يوسف عليّ الزوبعي، وصف المكان وبناؤه في الرّواية التّاريخية العربيّة، ص201.

ب. الأماكن المغلقة الإجباريّة:

وهي الأماكن السلبيّة، ضيّقة المساحة والتي يُفرض إجبارًا على الشّخص المكوث فيها، ممّا يُولّد له الخوف، فتقيّده وتُفقده حريّته، فهو مكان "طارئ ومفارق للمعتاد"[1]، ونجد منها في الرّواية:

1) السّجن:

وهو المكان الذي دخله المتنبّي بسبب تمرّده على السلطة الحاكمة لما رآه من فساد الحكّام **"رأيت السّجن من الخارج أوّل مرّة، قناطر من الحجر العتيق، تُحيط مجموعة من هذه القناطر بساحة فسيحة، وتحت كلّ قنطرة مُعتقَل، غرف أبوابها من الحديد القائم، تُفتح من اليمين، وتتّسع الغرفة لثلاثة مساجين أو أربعة"**[2]، فهذا المكان هو الذي عُزل فيه عن المحيط الخارجي وفُرضت عليه المراقبة.

نلاحظ أنّ المتنبّي لم يخلق صداقات في هذا السّجن بل اعتبر كلّ المساجين بمثابة مجانين وهو لا يستحقّ أن يبق معهم "وهذا الإغلاق يفرض على المرء تداعيات وبواعث استحضار الذّكريات التي تأتي في صورة حلم أو يقظة لتُناشد الحريّة المصادرة"[3]، وهذا ما عاشه المتنبّي فعلا في هذا السّجن، فبسبب الوحشة استرجع ذكرياته التي مضت مع أحبّائه **"ورحت أنظر إلى الجدار الذي يواجهني، رأيت عليه أيّام المكتب، أيّام كنت أريد أن أقوم فيهم للصلاة وأنا لا أزال في الثّامنة، ظهرت لي أمّي التي لم أرها في حياتي"**[4].

والسّجن هو مكان يشعر فيه المرء بالخوف والكآبة والضّيق، ويُعامل فيه مُعاملة قاسية لا يُدركها إلاّ من عاناها، إلاّ أنّ الكاتب وصف تجربة السّجن القاسية بدقّة جعل فيها القارئ يستشعر المعاناة التي يكون فيها السّجين.

كما أنّ "وضع السّجين في زنزانة منفردة، تجعله يفتقر لكلّ شيء، وبالتّالي ينعدم إحساسه بالزّمن وينقطع اتّصاله بالعالم الخارجي، فلا يبقى أمام السّجين إلاّ

[1]- سمر روحي الفيصل، السجن السّياسي في الرّواية العربيّة، طرابلس، لبنان، ط2، 1994، ص60.
[2] - أيمن العتوم، ساحر أو مجنون، ص170.
[3] - مهدي عبيدي، جماليّات المكان في ثلاثيّة حنا مينه (حكاية بحّار- الدقل - المرفأ البعيد)، ص76.
[4] - أيمن العتوم، المصدر السّابق، ص185.

مواساة نفسه بأيّ شيء"[1]، وهذا ما عاشه المتنبّي في هذا السّجن، لكنّه جعل من شعره حلًّا يُشغل به ذهنه وتفكيره ليتخلّص من الوحدة القاتلة، فملأ الجدران والأرض وسقف السّجن بشعره، لينال بعد ذلك حرّيته لكنّه لم يتخلّص من آثار السّجن السلبيّة على نفسه، فذكرى السّجن لم تفارقه لمدّة طويلة من الزّمن.

2) الدّار:

وهي المكان الذي استقرّ فيه المتنبي لمّا ارتحل عند كافور الإخشيدي في مصر **"فأنزلني دارا على النّيل واسعة، مُطلّة على الماء، تجري من تحتها العيون، مورقة مونعة، حدائقها غنّاء، وارفة الظّلال...ولا أدري لما زادتني هذه السّعة ضيقا، وهذا الهواء الطيّب اختناقا"**[2]،فالمتنبّي رغم ما لقيه من فسحة ورغد العيش في هذا المكان إلاّ أنّه كان يُشعره بالضّيق، إلاّ أنّه ما لبث أن تحوّل هذا المكان إلى سجن، فقد فُرضت على المتنبّي الإقامة الجبريّة من قبل كافور الإخشيدي ليجد نفسه مسجونا داخل هذه الدّار **"وصار خروجي من داري لا يكون إلاّ بورقة فيها ختم (كافور) وها أنذا. حبيس، أو مُراقب أو منبوذٌ. أو وحيد في هذه الدّار"**[3]، ليغدو بذلك مكان إكراهٍ وقيدٍ يعزله عن العالم الخارجي ممّا يولّد له الشّعور بالكآبة والضّيق.

2. المكان المفتوح:

وهو مكان يعبّر عن الحرّية بحيث يساعد الشّخصيّات على التّحرك ويفسح لها المجال في تحرّكاتها وأحداثها، وهي الأماكن الفسيحة الواسعة، تكون فيها الشّخصيّات أكّثر اختلاطا بالمجتمع على عكس الأماكن المغلقة التي تجعلها أكّثر انعزالا "إنّ الحديث عن الأمكنة المفتوحة هو الحديث عن أماكن ذات مساحات هائلة توحي بالمجهول كالبحر والنّهر، أو توحي بالسلبيّة كالمدينة، أو هو حديث عن أماكن ذات مساحات متوسّطة كالحيّ حيث توحي بالألفة"[4]، ولا بدّ من وجود الأماكن المفتوحة في

[1] ـ مهدي عبيدي، جماليّات المكان في ثلاثيّة حنا مينه، ص87.
[2] ـ أيمن العتوم، ساحر أو مجنون، ص405.
[3] ـ المصدر نفسه، ص425/424.
[4] ـ مهدي عبيدي، المرجع السّابق، ص55.

العمل السّردي فأهميّة حضورها هي نفس أهميّة العناصر السّرديّة المكوّنة للعمل الرّوائي، وقد وظّفها أيمن العتوم في روايته، لنجد منها:

1)الصّحراء:

وهي المكان الذي مكث فيه المتنبّي مدّة سنة ليتجهّز للحرب ضدّ الملك **"ومضت علينا ثلاث ليال في الصّحراء، أبيت تحت نجومها، وأنتجع إذا برد حرُّ الشّمس ما تناثر من أفيائها، وأقرأ عليها سورة النّصر"**[1]، والصّحراء مكان يعبّر عن المجهول بالمستقبل، لينتهي المطاف بالمتنبّي بألاّ يحقّق مراده ويحدث ما لم يكن في الحسبان وهو أنّ أغلب جيشه تخلّى عنه في المعركة ويُحبس بعدها.

2)الكوفة:

وهو مكان النّشأة الأولى، أصل المتنبّي، غادرها صغيرا ولمّا عاد إليها بعد سنوات وجدها على غير ما تركها **"وكيف هي الكوفة اليوم؟، خرابات تعيث في دروبها الجرذان، وتتسيّد على قصباتها الضّباع، وتُحلّق فوق سمائها الغربان، ولا تسمع في اللّيل على أشجارها سوى نعيق البوم"**[2]، فالكاتب هنا يرثي حال الكوفة على لسان المتنبّي، بعدما كانت مكان الدّفء والطّمأنينة والحبّ، أصبحت مكانا يُشعر زائرها بالحزن والأسى على ما آلت إليه، فأصبحت رمزا سلبيّا بسبب الفساد الذي حلّ بها، فالكاتب "يقدّم لنا ما يسمّى بالقبح الجمالي أو الجماليّات السالبة"[3]، والمتنبّي هنا لا يكره المدينة في ذاتها وإنّما يكره من تسبّب في أن جعلها هكذا، ومن ناحية أخرى يحبّها لأنّه يحبّ ذكرياته مع جدّته وذكرياته في هذه المدينة.

3) نصّيبين:

يتجلّى وصف هذه المدينة من خلال قول الكاتب على لسان المتنبّي **"فلمّا دخلت المدينة تلقّتني بساتينها الممتدّة التي تخضل بالماء، كثيرة العقارب، ولقد رماها (كسرى أنوشروان) حين أراد أن يفتحها، وامتنع عليه سورها بقوارير يملأ القوارير**

[1]- أيمن العتوم، ساحر أو مجنون، ص125.
[2] - المصدر نفسه، ص501.
[3] - مهدي عبيدي، جماليّات المكان في ثلاثيّة حنا مينه، ص102.

بالعقارب السّامة ثمّ يرميها بأشباه المنجنيق"[1]، فالكاتب يقدّم لنا حدثا تاريخيّا عن هذه المدينة التي فُتحت بواسطة العقارب السّامة ليُسمّى بعدها تلٌّ (بتلّ العقارب) لكثرة انتشار العقارب فيه.

4) البحر:

يقدّمه لنا الكاتب على لسان الشخصيّة المحوريّة فيقول: **"ثمّ رميت نفسي في البحر بملابسي، ورحت أسبح حتّى وصلت إلى عرض البحر، وبدايته الماء سرابا في الصّحراء، وأفقا لا نهاية له"**[2]، والبحر مكان يُقصد لإزاحة الهموم، وهذا ما جعل المتنبّي يذهب إليه، لما ملأ قلبه من هموم الدّنيا وضيقها بسبب ما رآه من فساد حكّامها، وبالتّالي الكاتب هنا يعكس لنا الحالة الشّعوريّة لشخصيّة المتنبّي وهي الضّيق والهموم.

3ـ أمكنة الإنتقال:

وهي تسمّى بـ "أمكنة المسارات"[3]، وهي تلك الطّرق الطّويلة التي تربط بين المدن وقد تكون طريق داخليّة، ومنها ما ذكره أيمن العتوم في روايته **"ولمّا بدأ الصّيف يولّي، والخريف يُطلّ برأسه، وأنا في تلك الدّيار الشّماليّة، قلت أمضي فإنّ الغاية (منبج)... فعبرت أوّل الأمر إلى (دوسر) وهي قرية قرب (صفّين) على الفرات، فأقمت فيها يومين، ثمّ ارتحلت إلى (داقين)، ولاح من بعيد جسر(منبج)، فقلت أبيت على مقربة منه..."**[4] ، وهذه الطّرق التي اتّخذها المتنبّي ليصل إلى مدن ومناطق معيّنة، تكون طويلة جدّا ممّا يُلزم المتنبّي المكوث أحيانا في أماكن قريبة لمدّة قصيرة ويستأنف المسير بعدها، ليستغرق الوصول إلى الغاية أيّاما أو أكثر.

وعادة يكون ذكر أماكن الانتقال هذه بدون وصف، فالشخصيّة لا تعطي لهذه المناطق الواصلة أيّة وصف، باعتبار أنّ هذه المناطق ليست الهدف أو المبتغى وإنّما طريق فقط تسلكه الشخصيّة للوصول إلى المبتغى.

---

[1] ـ أيمن العتوم، ساحر أو مجنون، ص96.
[2] ـ المصدر نفسه، ص116.
[3] ـ شاكر النابلسي، جماليّات المكان في الرّواية العربيّة، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، ط1، 1994،ص59.
[4] ـ أيمن العتوم، المصدر السّابق، ص102.

وبعد دراسة مختلف الأمكنة في هذه الرّواية ما بين أمكنة مغلقة وأخرى مفتوحة وأمكنة انتقال، نجد أنّ كلّ هذه الأماكن هي أماكن مؤقّتة لا دائمة، لأنّ الشّخصيّة المحوريّة شخصيّة مرتحلة (متنقّلة) لم تجعل لذاتها موطنا بل اتّخذت من أرض الله كلّها موطنا لها.

المبحث الثاني: الأحداث ما بين المتخيّل والتّاريخي

يعتبر الحدث من عناصر بناء الرّواية، وأهميّته لا تقلّ عن العناصر الأخرى، باعتبار أنّ الرّواية تتشكّل من خلال ترابط مجموعة من الأحداث التي قامت بها الشّخصيّات في زمن معيّن وأماكن محدّدة "فالشّخصيّة هي من تصنع الحدث، فهو مرتبط ارتباطا وثيقا بها...يدفعنا هذا القول أنّ الحدث هو أثر تُحدثه الشّخصيّة داخل الخطاب الرّوائي وتتفاعل معه لتنسج حيثيّاته، وبذلك فإنّ الشّخصيّة هي من تُوجد الحدث وهي من تعيش مجرياته"[1]، كما أنّ مجموع الأحداث التي يسردها الرّوائي لا تكون إلاّ في زمن معيّن لتداخلهما مع بعض "ويمنع هذا التّداخل بين الحدث والزّمان دراسة أحدهما بعيدا عن الآخر، لأنّ الزّمن (مدى بين الأفعال) والحدث (اقتران فعل بزمن) "[2].

وقد جسّد لنا أيمن العتوم في روايته تلك العلاقة عن طريق سرده الأحداث بالأسلوب التّتابعي، بحيث "تسير الأحداث بتسلسلها الطّبيعي كما حدثت في الواقع، فالسّرد يبدأ عادة من الماضي ثمّ يتّجه بخطّ مستقيم نحو المستقبل من دون أي إسترجاعات، وغالبا ما يقوم الرّوائي في هذا النّسق بذكر أحداث حصلت قبل زمن السّرد، بأن يروي أحداثا ماضية بعد وقوعها"[3]، وقد قسّم لنا الكاتب روايته "ساحر أو مجنون" إلى سبعة فصول ، تُسرد بضمير المتكلم الذي هو الشّخصيّة المحوريّة (أحمد بن الحسين)، وكلّ فصل حدّد له فترته الزّمنيّة وهي فترة وقوع تلك الأحداث وتطوّرها، كما أعطى لكلّ فصل تقسيما داخليّا ولكلّ قسم عنوان، وقد اتّخذ من حقبة العصر العبّاسي ميدانا لروايته، وأخذ شخصيّة المتنبّي موضوعا لها، وكلّ هذا بتوظيفه الأسلوب التّتابعي في بناء أحداث الرّواية، كما اعتمد على توظيف أحداث تاريخيّة وأخرى متخيّلة نوردها كالآتي:

1- حميدي نجاة، بنية الحدث في رواية "بحر الصّمت" لياسمينة صالح، مجلة "المدوّنة" مخبر الدّراسات الأدبيّة والنقديّة، جامعة بشار، جمادى الثّانية1436 هـ الموافق ل مارس 2015، ص61.
2- كريم يوسف عليّ الزوبعي، أساليب الحدث في الرّواية التّاريخيّة العربيّة الجديدة، مجلة كليّة الآداب، كليّة التّربية للبنات، العدد76، جامعة الأنبار، ص2.
3 - المرجع نفسه، ص21.

1. الأحداث التّاريخيّة:

تبدأ هذه الأحداث بمولد (المتنبّي) وحياته في صباه، وتعلّمه في مدارس الأشراف العلويين في الكوفة، وهو لم يتجاوز ثماني سنوات، وهذه المرحلة كانت من (303هـ إلى 312هـ)، وهذه البداية هي تمهيد لما حقّقه المتنبّي من مكانة في عصره، وإلى يومنا هذا بخلود شعره وبكونه أعجوبة عصره وزمانه.

وبالرّغم ممّا أحدثه القرامطة من دمار وقتل ونهب في الكوفة إلاّ أنّ المتنبي لم يتوقّف عن أخذ العلم **"لم أدع هذه الأحداث المهولة تُغنيني عن أن آخذ من العلم أحسنه، وكان أبي يعرف أنّ قدري أن يكون السّير إلى غايتي لا تعرقلها الأحداث التي تقع في الدّرب مهما كانت فادحة"**[1].

وتعدّ نهاية المرحلة الأولى تمهيدا لبداية المرحلة الثّانية والتي هي (نكبات الدّهر والثّورة)، وقد حُدّدت زمنيّا من (313هـ إلى 319هـ)، موضوعها ثورة المتنبّي وتمرّده على السّلطة بسبب فساد الحكّام وجورهم، وفكرة ادّعائه النبوّة **"فباغتنا جيش (لؤلؤ) هذا ونحن نأوي في ليل أحد الأيّام إلى بيوتنا، فلمّا جاءني الخبر في تلك اللّيلة المشؤومة من أحد أفراد الطّلائع، لبست الدّرع والدّلاص واللأمة والمِغفر، وأخذت عُدّتي للقتال"**[2]، قد أطّر لنا أيمن العتوم في هذا المقطع السّردي زمن هذا الحدث وهو (اللّيل) لتأخذ الأحداث بالاستمرار دون أيّ استرجاعات، وهو يعكس بذلك بسالة المتنبّي وقوّته وعدم رضوخه للذّل والعيش تحت وطأة الحكّام الفاسدين، وهو لم يتجاوز السّابعة عشر من عمره إلاّ أنّه لا يحقّق بذلك شيئا، وتنقلب الأحداث فيُقبض عليه ويُسجن.

تبدأ بعدها المرحلة الثّالثة وهي السّجن وما عاناه فيه (من 320هـ إلى 322هـ)، وقد مكث فيه مدّة عامين، ففقد حريّته وبقي وحيدا **"فإنّ أحد الحرس في هذه الكتيبة المُوكّلة بجرّي إلى (حمص) قد مال بجواده إلى شجرة زعرور ... فكسّر بقائم سيفه أغصانا منها، ثمّ راح يصنع من شوكها إكليلا.... فهتف وهو يبتسم ابتسامة المحنق:**

[1] ـ أيمن العتوم، ساحر أو مجنون، ص74.
[2] ـ المصدر نفسه، ص152.

[لقد صنعت لك تاجا من الشّوك]...، وحشر التّاج على رأسي الحاسر فجرّح جبهتي وثقّب قمع رأسي ...وكدت أفجّر من أعماقي صرخة عالية لولا أنّني شعرت أنّ هذه الصّرخة إعلان بهزيمتي أمامه"[1]، فالكاتب يعكس لنا من خلال هذه المرحلة وهذا المقطع السّردي قوّة شخصيّة المتنبّي في إصراره على أن يلق حتفه ولا يرضخ للذّل، فيتحمّل معاناته في السّجن من جوع وضرب ومراقبة، ورغم علمه بأنّ الموت يهوي نحوه إلاّ أنّه لا يستسلم ويختصر كلّ هذا في قوله:

"وإذا لم يكن للموت بدٌّ فمن العار أن تموت جبانَا "[2].

ثمّ تأتي مرحلة (الخروج إلى العالم والعودة إلى الأمّ) من (323هـ إلى 336هـ)، موضوعها الحرّية التي عادت للمتنبّي بعد مكوثه في السّجن، وعودته إلى ديار النّشأة الأولى، إلى الكوفة، ثمّ رحيله منها وبداية انتشار أشعاره واهتمام الملوك بها **"صار لي صوت، صوت مسموع، بدأت حروفي تصعد إلى السّماء"**[3].

بعدها رحيله إلى (حلب) عند سيف الدّولة، وهي مرحلة السيفيّات (من 337هـ إلى 346هـ)، وأهمّ أحداثها هي المعارك التي خاضها سيف الدّولة مع الرّوم دفاعا عن الدّولة الإسلاميّة، ومساندة المتنبّي له في كلّ خطواته، **" ثمّ صاح مناد:[يا خيل الله اركبي]، وكان ذلك في أواخر الصّيف من عام 339هـ، ودعى سيف الدّولة كلّ قادر على السّير أن يسير في جيشه وبعث إليّ :[فلبّيت مسرعا متشوّقا]، وسار الجيش بثلاثين ألف فارس تاركا قصر الحلبة"**[4]، فقد حدّد لنا الكاتب زمان ومكان وقوع هذا الحدث الكبير، ومن خلال هذه المرحلة يعكس لنا أيمن العتوم عن بداية خلود المتنبّي بأشعاره.

عمد الكاتب إلى إدماج أسلوب التضمين الذي يعتبر من أساليب بناء الحدث بنوعيه الدّاخلي والخارجي، أمّا الدّاخلي "يعني به تضمين قصّة أو حدث داخل القّصة الرئيسيّة، بشرط أن تكون القصّة المضمنة ذات علاقة مباشرة بالقصّة الأصل، وتتولّد

[1] أيمن العتوم، المصدر السابق، ص158.
[2] ـ المصدر نفسه، ص153.
[3] ـ المصدر نفسه، ص259.
[4] ـ المصدر نفسه، ص331.

داخل الحكاية نفسها وترتبط بشخصيّاتها وأحداثها"[1]، وهي قصّة حبّ المتنبّي لخولة أخت سيف الدّولة الحمداني، فهي ليست الحدث الرّئيسي، وإنّما هي مرتبطة بأحداث المتنبّي مع سيف الدّولة، بحيث تسهم في بناء الحدث الرّئيس.

وأمّا التّضمين الخارجي والذي يُقصد به "إدخال نصوص خارجيّة على الأحداث الرّئيسيّة لا تربطها صلة مباشرة بها"[2]، والتّضمين الخارجي الموظّف في هذه الرّواية هو الشّعر الذي يُعدّ "من أنواع التّضمين الخارجي الأكّثر حضورا في الرّواية التّاريخيّة العربيّة، ويرجع ذلك إلى موضوع الرّوائي وطبيعته والحقبة التّاريخيّة لتكون ميدانا لإحيائها"[3]، فيختار لنا الكاتب بيئة العصر العبّاسي ميدانا لروايته، فيُضّمن لنا على لسان البطل أشعارا له ولسابقيه من العصر العبّاسي كالبحتري فيقول:

" تصفُ العين أنّهم جدُّ أحياءٍ لهم بينهم إشارةُ خُرسِ

يغتلي فيهمُ ارتيابي حتّى تتقرّاهمُ يدايَ بلمسِ "[4]

ويكون هذا الشّعر موافقا للأحداث والمواقف التي تكون فيها الشّخصيّة كالغزل والمدح.

ثمّ تأتي مرحلة الكافوريّات من (346هـ إلى 350هـ) في مصر وأهمّ أحداثها هي الإقامة الجبريّة التي فرضها كافور الإخشيدي على المتنبّي بسبب خوفه من أن يهجوه لامتلاكه قوّة الشّعر، وبعدها الهروب الكبير الذي يقوم به المتنبّي **"ثمّ وقّتُ لحظة الهرب، إنّها ليلة النّحر في عيد الأضحى من عام 350هـ"**[5]، وفي هذه المرحلة بدأ حلم المتنبّي وهدفه يندثر شيئا فشيئا.

وقد كانت المرحلة السابقة تمهيدا لمرحلة النّهايات التي كانت (من 351هـ إلى 354هـ) وهي مرحلة ذهابه إلى بلاد فارس والبويهيّين، مرحلة الموت في أواخر رمضان، وأهم أحداثها هو نهاية أحمد بن الحسين بموته مقتولا على يد فاتك الأسدي، وفي هذه المرحلة تحدث خاصيّة الاستباق في الأحداث، فيشعر المتنبّي أنّه لن يكمل

[1]- كريم يوسف عليّ الزوبعي، أساليب الحدث في الرّواية التّاريخيّة العربيّة الجديدة، ص4.
[2]- المرجع نفسه، ص11.
[3]- المرجع نفسه، ص12.
[4]- أيمن العتوم، ساحر أو مجنون، ص294.
[5]- المصدر نفسه، ص465.

عام 354هـ فيقول: **"دخلت سنة 354هـ ولا أدري لماذا أشعر أنّني لن أجوّزها إلى السّنة القابلة، وأنّني سأشرب كأسي الأخيرة فيها"**[1]، وهذا ما يحدث بالفعل، فيقاتل فاتك الأسدي إلى أن يُقتل **"ولقد كنت كلّ الرّجال كما قلت، ولقد واجهت الأسود وحدي في الفراديس وواجهت الموت بألف وجه ووجه من قبل، أفلا أواجهه اليوم في شخوصه الأخير؟"**[2]، فيتّضح لنا أكثر من هنا أنّ شخصيّة المتنبّي شخصيّة قويّة، رغم علمه بأنّ الموت يلاحقه وسينهشه إلاّ أنّه يواجهه ولا يستسلم لأنّ الاستسلام في نظره ضعف وجبن.

2. الأحداث المتخيّلة:

ما يميّز الرّواية التّاريخيّة عن الكتب التّاريخيّة التي يؤلّفها المؤرّخون هو عنصر الخيال الذي يضيفه الرّوائي ليضفي عليها نوعا من الجماليّة والفنيّة، إلاّ أنّ الهدف هو استحضار الأحداث التّاريخيّة وإحياء مجد الماضي، كما فعل أيمن العتوم في روايته، فجسّد لنا بعضا من الأحداث المتخيّلة وهي مجسّدة فيما يأتي:

- **"صرخ (أنيان) وهو لا يزال يحتضن الطّفل: [يا سلمية]. فتبدّلت الأرض غير الأرض، وجاء جنّ سلمية، قل أيّها الخالد، فأنشد الوليد ما أُلقي في روعه، فأطرقت الجنّ التي هناك، وجثت على ركبها...، ثمّ صرخ (أنيان) :[يا نصّيبين]، فتبدّلت الأرض، ونبت من بين شقوقها جنّها، وتابع: [أنشدهم أيّها السّاحر]، فأنشد الطّفل هناك ما كان في الغيب...،ثمّ صرخ (أنيان) ثالثة:[يا أنطاكيّة]، فتبدّلت الأرض، ووفدت من البحر كلّ جنّها ..."**[3]

يروي السارد في هذا المقطع السّردي أحداث ولادة المتنبّي على يد الجنّ وأنّها هي من أسمته أحمد، وأنّ الجنّ هم الذين وهبوه الخلود بشعره، وأنّهم أخذوا أباه وألقوا بشبهه في الأرض، ولعلّ ما جعل أيمن العتوم يختار هذا النّوع من الخيال (وهو عالم الجنّ) ويدمجه مع أحداث ولادة المتنبّي هو قوّة شعره، فكأنّه يقول لنا أنّ هذا الشّعر المليء بسحر البيان يستحيل أن يكون من عقل بشريّ عاديّ.

---

[1]- أيمن العتوم، المصدر السابق، ص533.
[2] -المصدر نفسه، ص564.
[3] - المصدر نفسه، ص10.

➢ **"هبطنا مدينة بابل... ومسح أبي على عينيّ فهالني ما رأيت، كانت معاشر الجنّ قد تقاطرت في تلك اللّحظة إلى ذلك المكان... ثمّ أجمعوا أمرهم على النّص الذي قرؤوه عليّ في ليلة مباركة، ثمّ مسح كبيرهم على صدري وقال: [قد استودع العلم، ولن يضيّعه] وقال أبي :[قد تمّت لك المعجزة] "[1]**، يروي لنا الكاتب في هذا المقطع السردي المتخيّل أحداث رحلة المتنبّي مع الذي يُزعم أنّه أباه إلى بني الجنّ لكي تودعه العلم قبل أن يذهب لتعلّم الفروسيّة والفصاحة في بادية(السّماوة)، ليؤكّد لنا الكاتب من جديد أنّ الذي علّم الفصاحة والفروسيّة للمتنبّي هم الجنّ كونه جعل أباه ينتمي إليهم.

وفي الأخير نستنتج أنّه بالرّغم من إضفاء عنصر الخيال والأحداث المتخيّلة إلاّ أنّ الرّوائي بنى روايته على أسلوب سردي تتابعي، تتطوّر فيه الأحداث بتطوّر الزّمن.

[1]ـالمصدر السّابق، ص48/47/46.

خاتمة

خاتمة:

بعد إنجاز بحثنا الموسوم بـ "دراسة المتخيّل التّاريخي في رواية "ساحر أو مجنون" لأيمن العتوم والإجابة على مختلف الإشكاليّات المطروحة حول تجلّيات هذا المتخيّل في الرّواية، نقول إنّ هذه التّساؤلات حلّها لا يعني نهاية البحث بشكل نهائي، وإنّما هي بداية لطرح إشكاليّات جديدة، فالبحث لا يزال قائما بالرّغم ممّا تطرّقنا إليه، ومن أهمّ هذه النتائج التي توصّلنا إليها من خلال هذه الدّراسة نذكر:

- استطاع أيمن العتوم من خلال هذه الرّواية أن يقدّم لنا عملا روائيّا تاريخيّا بامتياز، بحيث سلّط الضّوء على حقبة العصر العبّاسي والحضارة التي بلغت أوجّها، وهو بذلك يكشف لنا الواقع وهو قلّة الاهتمام بالعلم والأدب عند العرب واللّذان يعتبران من أهمّ عوامل تطوّر الحضارة، وكذلك سلّط الضّوء بشكل خاص على شخصيّة المتنبّي لإعادة إحيائها.
- استطعنا التّفريق بين المتخيّل والواقعي، وذلك من خلال الوصول إلى فكرة أنّ الكاتب الرّوائي ما يميّزه عن المؤرّخ هو عنصر الخيال الذي يوظّفه في عمله، سواءً بتوظيفه شخصيّات متخيّلة، أو أحداث متخيّلة، أو حتّى أماكن متخيّلة.
- إنّ أغلب الرّوايات التّاريخيّة تتّسم بالسّرد التّتابعي في سرد أحداثها، على عكس الرّوايات الجديدة الأخرى التي أصبح ما يميّزها هو كسر الزّمن، إلاّ أنّ الرّواية التّاريخيّة لا تزال تحافظ على خاصيّة التّتابع الزّمني، بحيث تتطوّر الأحداث بتطوّر الزّمن، وإن كان هناك بعض المفارقات كالاسترجاع والاستباق في الزّمن، إلاّ أنّه يبقى المحور العام للسّرد هو السّرد التّتابعي.
- دمج الكاتب المتخيّل مع الواقع، فجعل من عالم الجنّ سببا في خلود المتنبّي بشعره إلى اليوم، وهذا يدلّ على براعة الكاتب في جعل الأحداث المتخيّلة تنسجم مع الأحداث التّاريخيّة الواقعيّة، وإسهام الأحداث المتخيّلة في بناء أحداث الرّواية، وبدمجه المتخيّل مع الواقع حقّق بذلك ثلاثة أبعاد، يرتبط الأول بالبعد الجمالي أي أنّ جماليّة النّص الرّوائي هي التي تميّزه عن الكتب التّاريخيّة، خاصة بتوظيف عنصر الخيال. ثم البعد الواقعي، وهو كشف أحداث التّاريخ، وكلّ ما هو غامض

عن شخصيّة المتنبّي بتوضيح فكرة نبوءته، وفكرة ثورته، وكذلك من أجل معالجة قضايا الواقع. وبعدها البعد التّخييلي، ومنه الشّخصيّات المتخيّلة التي جعلها الروائي في تماس مع الشّخصيّات التّاريخيّة، وكذلك الأحداث التّاريخيّة، فهناك منطقيةٌ في توظيفه عالم الجنّ، وكلّ هذا يعكس لنا بعد خيال الرّوائي.

- براعة الرّوائي في تصوير واقع تلك الحقبة وواقع الشّخصيّة بطريقة فنيّة، ودقّته في وصف الشّخصيّات، والأمكنة، ومختلف الأحداث، وهذا يدلّ على تمكّن الرّوائي واطّلاعه العميق حول ذلك العصر وحول شخصيّة المتنبّي.
- دمج المتخيّل مع الواقع ساعد القارئ على فهم الشّخصيّة أكثر، باعتبار أنّ شخصيّة المتنبّي غامضة في نسبها، فكشف الكاتب هذا الغموض التّاريخي في أحداث متخيّلة ساعد بها القرّاء على فهم الشّخصيّة أكثر.

قائمة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1- أيمن العتوم، ساحر أو مجنون، دار الرموز العربيّة، تركيا، ط2، 2023.

ثانيا: المراجع باللغة العربيّة

1- إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقيّة)، دار الآفاق الجزائر، ط1، 1999.

2- سمر روحي الفيصل، السجن السياسي في الرّواية العربيّة، طرابلس، لبنان، ط2، 1994.

3- شاكر النابلسي، جماليّات المكان في الرّواية العربيّة، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنشر، ط1، 1994.

4- الصادق بن ناعس قسومة، علم السّرد (المحتوى والخطاب والدّلالة)، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرياض، ط1، 2009.

5- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر، مصر، ط1، 1997.

6- محمد القاضي، الرّواية والتّاريخ (دراسات في التّخييل المرجعي)، دار المعرفة، تونس، ط1، 2008.

7- مهدي عبيدي، جماليّات المكان في ثلاثيّة حنا مينه (حكاية بحّار - الدقل - المرفأ البعيد)، الهيئة العامّة السوريّة للكتاب، دمشق، ط1، 2001.

ثالثا: المراجع المترجمة

1. رينيه ويليك وأوستن وارين، نظريّة الأدب، ترجمة محي الدّين صبحي، دمشق، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعي، ط 1، 1972.

رابعا: المجلّات والدوريات

1- حميدي نجاة، بنية الحدث في رواية "بحر الصّمت" لياسمينة صالح، مجلّة المدوّنة مخبر الدّراسات الأدبيّة والنقديّة، جامعة بشار، الجزائر، 2015.

2 ـ كريم يوسف عليّ الزوبعي، أساليب الحدث في الرّواية التّاريخيّة العربيّة الجديدة، مجلّة كليّة الآداب، ع 76، كليّة التربيّة للبنات، جامعة الأنبار.

3ـ كريم يوسف عليّ الزوبعي، وصف المكان وبناؤه في الرّواية التّاريخيّة العربيّة، مجلّة كلية الآداب، ع 88، كليّة التربيّة للبنات، جامعة الأنبار، 2009.

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضوعات:

مقدّمة..... أ

الفصل الأوّل: الشّخصيّات بين المتخيّل والتّاريخي

المبحث الأوّل: الشخصيات التاريخية..... 02

المبحث الثاني: الشخصيات المتخيّلة..... 14

الفصل الثّاني: بناء المكان والحدث

المبحث الأوّل: المكان بين التّاريخ والرّواية..... 17

1- المكان المغلق..... 18

2- المكان المفتوح.....25

3- أمكنة الإنتقال..... 27

المبحث الثاني: الأحداث بين المتخيّل والتّاريخي.....29

1- الأحداث التّاريخيّة.....30

2- الأحداث المتخيّلة.....33

الخاتمة.....36

قائمة المصادر والمراجع.....39

فهرس الموضوعات.....42